علي ابو طوق

من الطفولة الى البطولة يعبر دم علي ابو طوق راسما على صفحات الزمن المهروس بطعنات الاهل افق تألق الشهادة .. ويلتحم بدم سمير ذياب وينشدان معاً اغنية المستقبل، اغنية تفتح الحانها ابواب الحب والا مل والنصر وتجرح البغضاء والطائفية والقهر وتمتد اصابع الاتهام كالسهام تخترق مؤتمر القمة الاسلامي تصرخ الله اكبر .. الله اكبر على من طغى وتجبر .. ويتحول عرين الاسد الى حديقة حيوانات ويلعلع صوت نشيد علي وسمير ... بالروح بالدم نفديك يا فلسطين.كم حاجز موت قفزاه معاً عبرا فيه حدود الرعب على شفرة سكين الجرأة. لو كانت شاتيلا تحصي خطوات النور، خطوات علي وسمير في وقت كان سكوت العالم كسديم تائه ونداء الشرفاء كالصوت الصارخ في البرية لكن دون مسيح. وشباك الخونة تلتقط بخسة وغدر حراس شاتيلا، ابو الفتح سميح ... توفيق ... راجي وعلي يحتضن بايمان كل محاولات الصيد فتحرق شباك الخونة وسنانيرهم بين يديه .. ويصمد وتعبر الخيانة حدود الاغتيال وتفشل ... ويظل الا لق يطوف على الاطفال صباحاً ومساءً يقتل طيف الزمن المربسمته ويؤكد ان عبور الفتح الى زمن مخاض النصر قريب .

وتطل رياح البداوي وعلي الفارس يلمح شارونا عربياً يقف كطاووس فوق الانقاض فوق دماء الاطفال وآهات صبايا الحي وبقايا امهات وكهول يصرخ ويقول ... انتصرت القضية كانت لحظات انسحاق وطني كقبضة .. عزرائيل تتجمع في آتون الحقد الضاري ... لكن علي سحق واخوانه قبضة عزرائيل اليأس بسواعد امل الشعب. فارتفع على البداوي علم فلسطين .

وقلعة الشقيف. حجارتها تنفست من الزفير يا علي وكربلاء دائماً تظل كربلاء. وحافظ بن ملجم يسدد اندحار روحه الى الورود. يقتل الشذا وينشر القذى. وعند حاجز التحام الارض بالمقاتلين تشرق ارادة شعب فلسطين الارادة الاصلب .. والرقم الاصعب .

ويعلن العدو بصلف ووقاحة ان عام 1987 سيكون عام حل القضية الفلسطينية على الطريقة الصهيونية . وتعلن الثورة ان عام 1987 سيكون عام انبلاج الامل عام، الانتصارات، عام تجاوز الصعوبات والمؤامرات والدسائس. عام انبثاق فجر يتألق على شاطئه الورد الفلسطيني حاملاً باقة عرس الشهداء يعودون من المنفى بعيون الاطفال وينتصرون على الموت .

ويحاول العدو الصهيوني جاهداً ان يجد المتكأ الذي يستطيع عبره القفز عن منظمة التحرير الفلسطينية . يتدرب ليلاً ونهاراً على قفز الزانة ويدخل مع الزمن في سباق. تتكسر وهو معلق في الهواء زانات روابط القرى والبدائل العميلة فيسقط ململماً جراحه ويعود يلملم فتات اهوائه موسعاً دائرة استخدامه لادوات جديدة في اطار صفقات رخيصة تضمن لبعض الحكام امنهم الشخصي والاقليمي على حساب الا من القومي. ومن كيس فلسطين وشعب فلسطين يتم الدفع وعن حقوقه المشروعة تجري التنازلات. وكما جرى في كامب ديفيد يجري الان على ارض المخيمات في لبنان . ويتوجه نظام الاسد نحو صفقة الخيانة الجديدة مسربلاً بشعارات وابواق دعايات فائقة الثورية والتقدمية ظاناً ان الشعب السوري لا يدرك الحقيقة وان كان مكبوت النفس مقهور الارادة. وان الشعب اللبناني لا يدرك الحقيقة وان كانت بسباطير سرايا الصراع والدفاع والخاصة تغرس مساميرها في اعناق الشرفاء لتعلو صرخاتهم تصاريح تمجد الدور السوري في حماية لبنان ووحدته واستقلاله ووحدة اراضيه. اما الشعب الفلسطيني الذي حاول نظام الاسد وبذل كل جهده في محاولاتهم الدنيئة التي وصلت ذروتها حول مخيمات البارد والبداوي وعلى اطراف طرابلس ليثبت ان الشعب الفلسطيني لا يستحق الوجود منسجماً بذلك مع اماني

وتصريحات جولدا مائير. ولكن نظام الاسد الذي استطاع ان يجد عميلاً فلسطينياً يغطي وجهه القبيح وهو يرتكب جريمة طرابلس. الا ان مقاتلي الثورة الفلسطينية مقاتلي الشعب الفلسطيني المدافعين عن حريته واستقلاله وارادته وقراره الوطني المستقل اسقطوا قناع الاسد وبدا واضحاً امام القاضي والداني فيض الحقد المنصب من انياب الوحش على اطفال الشعب الفلسطيني وليبرء نفسه تغطى بنبيه بري الحالم برئاسة كنتون شيعي .. كل الشيعة منه براء الا بعض العملاء. وسقط القناع ايضاً تحت قذائف العدو الصهيوني المباشرة الذي اعلن بالممارسة العملية عن تشكيل حلف رباعي يضم كاهانا وايلي حبيقة ونبيه بري وخدام الاسد يهدف اول ما يهدف الى تقسيم لبنان ارضاً وشعباً وانشاء دويلات طائفية عميلة. ولان وجود المخيمات الفلسطينية في لبنان يشكل عقبة كأداء امام المؤامرة اصبح ضرورياً في نظر الحلف الخياني الدنيء مسح هذه المخيمات عن الوجود. باعتباره شرطاً من شروط تمرير المؤامرة. ولان اهل الارض المحتلة يلتحمون بأهل الغربة والشتات بأواصر لا تخضع لحدود او لقيود. انتفضت كل جماهير الارض المحتلة، في القدس في غزة في الجليل ، في نابلس، في يافا في الخليل ، في كل مواقع المستحيل معلنة... هذا شعب فلسطين.. الارادة الاصلب .. والرقم الاصعب .. وسينتصر بإذن الله .

وتظل منظمة التحرير الفلسطينية مصبوغة بدماء آلاف الشهداء ومرصعة بطموحات ملايين الاطفال والعصافير واشجار الزيتون يتألق وجهها بعنفوان وكبرياء تتكسر على جبهته ووجنتيه سهام الاعداء وسهام العملاء. ويظل شامخاً متوردا يضيء الدرب لشعب فلسطين الابي الذي قرر بإرادته الصلبة التي لا تلين وعزيمته التي لا تستكين بالرغم من قيود الاحتلال واغلال المنافي ان منظمة التحرير الفلسطينية هي ممثله الشرعي والوحيد وانها كالشعب الذي تمثله ذي الارادة الاصلب والرقم الاصعب الذي لن تمر معادلة الشرق الاوسط بتجاوزه او القفز عليه او اهدار أي حق من حقوقه المشروعة في وطنه. لقد كانت الارادة الاصلب مبعث الاختيار الحر للكفاح المسلح وللثورة الشعبية وحربها الطويلة الامد "طويلة" .. وصعبة والخيار اصعب لكنه يعطي المعنى الحضاري لمغزى الوجود .. فما من شعب اعتمد الكفاح المسلح خياراً للذود عن حياضه الا وانتصر وما من شعب اختار الاستسلام الا واندثر.

انهار الدم تنساب تفيض على اطراف العمر .

ونعمد فيها كي نصبغ

نصبغها نحن برائحة الجمر

ولا نصبح في هذا العصر هنوداً حمر

لا نعطي لمتاحف هذا العصر جماجم للذكرى

لكنا نكسوها جدراناً

ارضا اسطح نملؤها بعزيمتنا فخراً

نجعلها رمزاً حياً لمسيرتنا الكبرى ونتوجها نصراً

نبعث فيها العالم من غفوته يصرخ:

يا هذا الشعب الاصلب

يا هذا الرقم الاصعب

انت تقاتل .. انت إذن .. فلسطيني.